السفاح

محمود سالم

السفاح

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

السفاح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٨١٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مهمة ... ثنائية!	١١
البحث عن «جاك» السفاح!	١٩
الكولونيل الأمريكي!	٢٥
اكتشاف متأخِّر!	٣١
محاولة للقتل!	٣٥
جريمة جديدة!	٣٩
السفاح!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مهمة ... ثنائية!

جاء الاستدعاء عاجلًا لـ «أحمد» وهو يمارس تمارينه الرياضية في صالة الألعاب بداخل كهف الشياطين.

وفي الحال أنهى تمارينه وأخذ حمامًا باردًا، ثم اتجه في نشاط إلى قاعة الاجتماعات قبل أن تمضي خمس عشرة دقيقةً على الاستدعاء، واندهش «أحمد» عندما وجد «إلهام»، فاتجه إليها باسمًا وسألها: ألم يحضر الآخرون؟

فأجابته بصوتٍ لا يخلو من الدهشة: لم يحضر أحد! ... يبدو أن الاستدعاء كان قاصرًا علينا وحدنا.

جلس «أحمد» بجوارها وقال: هذا أمر عجيب ... إنها المرة الأولى التي يستدعينا فيها رقم «صفر» وحدنا من أجل إحدى المهمات.

إلهام: لعله يريدنا في شيء آخر غير العمل.

وساد الصمتُ لحظات قليلةً بداخل القاعة ... ثم ظهر رقم «صفر» في مكانه المعتاد ذي الإضاءة الشاحبة التي اعتاد أن تُخفي ملامحه، وقال بعد لحظة وهو يجلس: مرحبًا بكما ... لعلكما قد تساءلتما عن سر الاستدعاء الذي اقتصر عليكما وحدكما ... وفي الحقيقة فإن هناك مهمةً خاصة تنتظر من يقوم بها من الشياطين ... وقد رأيتُ أنكما أصلح من يقومان بها.

صمت رقم «صفر» ثوانٍ قليلة، فتبادل «أحمد» و«إلهام» النظرات ... وتحوَّلت ملامح الدهشة التي ارتسمت فوق جبهتَيهما إلى ابتسامة عريضة ... مُرحِّبة بالمهمة القادمة.

وقال رقم «صفر»: أنتما تعلمان أننا نعيش في عالم مضطرب قلق ... عالم مليء بالعُنف والشر والجريمة، كأنما تلك هي سِمة هذا العصر ... ففي كل زمان ومكان كان الخير موجودًا ... ولكن الشر كان ملازمًا له ... ومن المؤسف أن بعض الناس قد امتهنوا

الشر حتى صار علامةً مميِّزة لهم، فلا يكاد يُذكر اسم واحد منهم حتى يقفز إلى عقل الإنسان كل أنواع الشر والإرهاب التي التصقت بهذه الأسماء ... ولعلنا نذكر بعض الأسماء الشهيرة مثلًا؛ القائد المغولي «هولاكو» الذي ارتكب المذابح التي مات فيها مئات الألوف من الأبرياء، الذين كانوا ضحية أطماعه وتوسُّعاته. وكذلك الإمبراطور الروماني المجنون «نيرون» الذي أحرق «روما» بسُكانها ... وحتى «قراقوش» الذي كان مثالًا للحاكم المجنون المُختل عقليًّا، والذي راح الكثير ضحايا لجُنونه.

وتلك كلها أسماء من الماضي البعيد.

أمَّا الماضي القريب فهناك أسماء لسفاحين ومجرمين ظهروا في قرننا العشرين على وجه الخصوص؛ منهم مثلًا «آل كابوني» زعيم المافيا الشهير الذي فَرَض الرعب والإرهاب في أمريكا بعصابته الرهيبة ... أيضًا «جاك» السفاح ذلك المجرم الذي كانت صِناعته القتل والموت ... وأخيرًا المجرم العالمي «كارلوس» الذي تُطارده أكثر من دولة للقبض عليه بسبب قيامه بعدد من العمليات الإرهابية، التي راح ضحيتها مئات من الأبرياء ... ومن المؤسف أن «كارلوس» لم يلقَ عقابه حتى الآن ... ويُقال إنه قد اختفى في إحدى الدول بعيدًا عن الأنظار بعد أن قرَّر التوقُّف عن الإرهاب، كما يُقال إنه مريض بِداءٍ خطير يوشك أن يقضي عليه، ويُقال أيضًا إنه قد مات. إن أشياء كثيرةً تُقال عن هذا المجرم، غير أن شيئًا منها ليس مؤكدًا.

تساءلت «إلهام»: وهل المطلوب منَّا القبض على هذا الإرهابي الخطير «كارلوس»؟

رقم «صفر»: لا ... لقد زال خطر «كارلوس» تمامًا، ونحن شبه متأكدون من أنه يعاني من مرضٍ خطير ... وأنه قد مات أو في طريقه إلى الموت بالفعل.

وصمت لحظةً قصيرة، ثم أضاف في صوت عميق: إن مهمتكما القادمة تتعلق بالسفاح ... «جاك».

تبادَل «أحمد» و«إلهام» النظرَ في دهشة عظيمة ... فقد كانا يعرفان أن «جاك» السفاح قد أُعدِم منذ أعوام طويلة ... فهل يمكن أن تكون مهمتهما هي مطاردة رجل ميت؟!

قال «أحمد» في دهشة عميقة: ولكن «جاك» السفاح قد مات ...

قاطعه رقم «صفر»: إنني أعرف ما ستقوله يا «أحمد»، وما قصدته ليس هو «جاك» السفاح الذي تمَّ إعدامه منذ وقت طويل ... ولكني قصدت رجلًا آخر ... وإن كان اسمه «جاك» أيضًا ... وبسبب ما قام به من جرائم وأعمال إرهابية؛ فقد أطلَقت عليه دوائر مكافحة الإرهاب لقب «السفاح» ... فصار اسمه المعروف به هو «جاك» السفاح، وإن كان

المجرم القديم المعروف بنفس الاسم يتضاءل إجرامه أمام هذا السفاح الجديد وما ارتكبه من جرائم وأعمال إرهابية راح ضحيتها المئات من الأبرياء ... صمت رقم «صفر» لحظات قليلةً وراح يقلِّب في أوراق ملفٍّ أمامه، ثم توقف وقال وهو يقرأ من ورقة بداخل الملف: وُلِد «جاك» السفاح في عام ١٩٥٠ في مدينة صغيرة بإنجلترا لأبوَين إنجليزيَّين ... وقضى طفولةً عادية ... وفي المدارس الإعدادية ظهرت ميوله العنيفة العدوانية مع زملائه، حتى إنه تسبَّب في مشاكل كثيرة مع زملائه؛ فتمَّ فصل «جاك» من المدرسة ... وظلَّ يعمل في بعض الأعمال اليدوية إلى أن بلغ العشرين من عمره، ودخل السجن خلال هذه الفترة أكثر من مرة، وتزامل فيها مع عدَدٍ من المجرمين، وبعد ذلك انضمَّ إلى الجيش البريطاني، وتمَّ سجنه وطرده من الخدمة لأنه اعتدى على كولونيل بالجيش بالضرب، وخرج «جاك» من السجن مرةً أخرى وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وقد حوَّلته سنوات السجن إلى أكثر شراسةً وتوحشًا، ولمَّا كانت الأعمال اليدوية لا تناسبه في ذلك الوقت؛ فقد عَمِل مع بعض تُجار المخدرات وعالم الليل السفلي في لندن، خاصةً حي «سوهو» الذي يمتلئ بكل ما هو سيئ. واشتهر «جاك» كـ «قبضاي» وحارسٍ لبعض الشخصيات، وكان يقوم بعقد صفقات صغيرة لنقل المخدرات أو حمايتها، وكاد مرةً أخرى أن يقع في يد الشرطة البريطانية بتُهمة الاتجار في المخدرات، فقام بالهرب في باخرة عبر المانش إلى فرنسا ... ولكن بعض رجال الشرطة طاردوه فوق الباخرة بعد أن وصلتهم معلومات عن اعتزامه الهرب فوقها.

تساءلت «إلهام»: وهل قبضوا عليه مرةً أخرى؟

رقم «صفر»: لا ... بل لقي ثلاثةً من رجال الشرطة الإنجليز مصرعهم برصاص «جاك» فوق الباخرة التي كان ينتظرها العشرات من رجال الشرطة الفرنسية على الشاطئ الآخر لبحر المانش، ولكن أحدًا لم يعثر على أي أثر له داخل الباخرة ... وقيل وقتها الكثير في تفسير هروب «جاك» من الباخرة ... فمنهم من قال إنه ألقى بنفسه بداخل المانش ... وسَبَح بعيدًا عن الميناء حتى لا تقبض عليه الشرطة، ومنهم من قال إنه استطاع التنكُّر ومغادرة الباخرة تحت سمع وبصَر رجال الشرطة، ومن قال وقتها إنه قد قُتِل وسقط غريقًا في المانش ... لقد قيل الكثير عن «جاك» خلال تلك الفترة ... ولم يعرف أحد حقيقة ما حدث وقتها حتى الآن ... غير أن المؤكد أن «جاك» لم يُقتَل، وأنه استطاع الهرب من الباخرة المُحاصرة برجال الشرطة ... ثم ظهر في أدغال وأحراش أفريقيا بعد ذلك؛ فقد صار يعمل كمرتزقة.

أحمد: يبدو أن هذه هي الوظيفة الوحيدة التي كانت تناسبه.

رقم «صفر»: هذا صحيح ... فبذلك يكون قد ابتعد عن شرطة أوروبا التي صارت تُطارده بأكملها، وكذلك البوليس الدولي ... وعمله كمرتزقة يحقِّق له دخلًا عاليًا، ويجعله يُشبع هوايته في سفك الدماء ... ففي أحراش أفريقيا السوداء تدور معارك لا نهاية لها بين الحكومات والمعارضين لها ... ويستعين كل طرف بمرتزقة أجانب للحرب ... وهكذا يجد «جاك» وأمثاله مجالًا للعمل ... والمؤكَّد أن «جاك» خلال فترة عمله كمرتزقة قد استطاع أن يصنع لنفسه اسمًا كبيرًا في هذا المجال، وأن المئات، بل الآلاف، راحوا ضحية توحُّشه ودمويته هو وفرقته التي كان يقودها، وكلها من المرتزقة والمجرمين، وجميعهم لم يكونوا ليَدينوا بالولاء لغير من يدفع مالًا أكثر ... حتى إنهم أطلقوا عليه خلال تلك الفترة لقب «السفاح».

إلهام: وهل استمرَّ «جاك» يعمل كمرتزقة للنهاية؟

رقم «صفر»: لقد توقف «جاك» عن أعمال المرتزقة منذ سنوات قليلة، بعد أن هدأت الأوضاع في أغلب أحراش أفريقيا وسادها الهدوء والسلام؛ فلم يعد هناك مجال للعمل لـ «جاك» أو رجاله ... فما كان من «جاك» إلا أن صرف رجاله ... ثم اتجه إلى عمل آخر أتاحته له موهبته ... في القتل وسفك الدماء.

ضاقت عينا «أحمد» وهو يقول: لقد صار «جاك» سفاحًا دوليًّا يا سيدي، أليس كذلك؟

رقم «صفر»: بالضبط يا «أحمد» ... هذا هو التعبير الصحيح لِما صار عليه «جاك» السفاح، وملأت سمعته مجال الإرهاب وسفك الدماء؛ فصار مطلوبًا من بعض الحكومات، والأنظمة الإرهابية، والتي تستعين ببعض الإرهابيين المشهود لهم بالكفاءة في هذا المجال للقيام ببعض الأعمال الخاصة ... والتي قام «جاك» السفاح بتأديتها بالشكل المطلوب، وسقط مئات من الضحايا مرةً أخرى على يدَيه.

ثم صمت رقم «صفر» وسمع «أحمد» و«إلهام» حفيف الأوراق التي راح رقم «صفر» يقلِّبها في الملف أمامه ... وجمدت عينا «أحمد» و«إلهام» وقد أدركا أن مهمتهما القادمة لن تكون سهلةً بأي حال من الأحوال، وهما يطاردان أخطر إرهابي على وجه الأرض.

قطع رقم «صفر» حبل أفكارهما، وقال: في عام ١٩٨٥ بدأ «جاك» عمله كإرهابي دولي ... وكانت أُولى العمليات لحساب منظمة دولية إرهابية، فقام باختطاف طائرة ركاب أجبر قائدها على الهبوط في أحد مطارات آسيا ... ثم تركها للإرهابيين الذين قتلوا نصف رُكاب الطائرة، بعد أن رفض العالم تحقيق مطالبهم.

وفي نفس العام أيضًا قام «جاك» باقتحام أحد المطارات الأوروبية، وأطلق الرصاص على بعض المسافرين، فسقط العشرات قتلى، ونجح «جاك» في الهرب. وفي العام التالي عاد

إلى الظهور في أمريكا، بعد أن وضع قنبلةً موقوتة بداخل حقائب أحد الركاب ... فانفجرت الطائرة في الجو، ومات عدد كبير ... ووقتها نشطت كل أجهزة البحث الأمريكية ومخابراتها للقبض على «جاك» ... فاضطُر أن يبتعد بنشاطه عن أوروبا ... وهكذا جاء إلى الشرق الأوسط ... وبالتحديد إلى منطقتنا العربية.

ساد صمت عميق بعد كلمات رقم «صفر»، وقطَّب «أحمد» حاجبَيه بتعبير بالغ القسوة والصرامة، وأكمل رقم «صفر»: أنتم تعرفون أن منطقتنا حافلة ببؤر الصراع والاضطرابات، وأن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب، ويتربَّصون لانتهاز أية فرصة لإشعال النار في المنطقة. وهكذا، وبوصول «جاك» إلى منطقتنا العربية، أمكن لبعض الأنظمة الإرهابية حولنا أن تسبِّب الخراب والدمار في بعض بلداننا العربية ... وكانت أولى عمليات «جاك» هي خطف طائرة عربية والهبوط بها في قبرص ... وعندما حاولت إحدى الحكومات العربية تحرير الطائرة من قبضة خاطفيها مات العشرات من الركاب ... وهرب «جاك» السفاح. ومرةً أخرى ظهر في دولة عربية أخرى، ووضع قنبلةً ناسفة في أحد القطارات المليء بالركاب؛ فمات العشرات ... ومرةً ثالثة وضع سيارةً ملغومة بجوار موكب رسمي لأحد المسئولين العرب، وانفجرت السيارة، وأطاحت بعشرات الأبرياء، ولولا العناية الإلهية ما نجا ذلك المسئول الرسمي.

هتفت «إلهام» في غضب: يا له من مُجرم متوحِّش هذا الرجل المدعو «جاك» السفاح!

وواصل رقم «صفر» قائلًا: لقد استطاعت بعض الحكومات العربية التنسيق فيما بينها للحد من نشاط هذا المجرم والقبض عليه؛ فقام بالاختفاء والتواري عن العيون إلى أن تهدأ الأمور لكي يستعد لمغادرة المنطقة ... بعد أن تحوَّل كل شيء فيها إلى عينٍ تبحث عنه ... وخلال فترة الاختفاء قام «جاك» السفاح بإجراء عملية تغيير في ملامحه حتى يستطيع مغادرة المنطقة العربية بدون أن يتعرف عليه أحد ... ويعود إلى أمريكا ويعتزل أعماله الإرهابية بعد أن صار يمتلك مئات الملايين من الجنيهات التي ربِحها من خلال عمله الإجرامي، وبعد أن سقط المئات والمئات من الأبرياء ضحايا له ... وبالطبع فإنه ما إن يصل أمريكا حتى يختفي هناك، ولن يمكن لأحد التعرُّف عليه في شكله الجديد للقبض عليه وإثبات كل ما قام به من جرائم لإدانته.

تساءل «أحمد»: إذن فلا أحد يعرف الملامح الجديدة التي تحوَّل إليها «جاك» السفاح؟

رقم «صفر»: لقد استطعنا الوصول إلى الطبيب الذي قام بإجراء جراحة التجميل لـ «جاك»، ولكننا للأسف وصلنا إليه متأخرين ... بعد أن قتله «جاك» ... حتى لا يُفشي سره أو يعطي صورةً بملامحه الجديدة.

إلهام: يا له من مجرم!

رقم «صفر»: إن آخر المعلومات التي وصلتنا عن «جاك» السفاح تقول إنه سوف يغادر المنطقة العربية فوق إحدى البواخر العابرة للمحيطات، والتي ستُقلع من ميناء «الدار البيضاء» في المغرب غدًا مساءً ... وقد استطاع «جاك» أن يحصل على جواز سفر سليم يقول بأنه مواطن أمريكي ... وإن كُنَّا نجهل الاسم الذي اتخذه لنفسه أو صفة العمل ... فكل ما نعرفه عنه أنه سيسافر على تلك الباخرة المدعوة «النجم الأزرق»، وفيما عدا ذلك فكل شيء آخر مجهول عن هذا الرجل الغامض.

أحمد: إذن فسوف نسافر على نفس الباخرة.

رقم «صفر»: بالضبط ... ستسافر أنت و«إلهام» على نفس الباخرة المتجهة إلى مدينة «نيويورك»، ولا أريد أن أُنبه عليكما أن مهمتكما ستكون لمدة أسبوع واحد ... هي وقت السفر للباخرة من المغرب إلى أمريكا في «المحيط الأطلنطي»، وخلال هذه المدة عليكما اكتشاف شخصية «جاك» السفاح الحقيقية ... ثم التخلُّص منه بأية وسيلة.

هتفت «إلهام» في غضب: ثِق أن هذا المجرم لن يطأ الأرض مرةً ثانية ... وأنه سوف يُلاقي جزاءه العادل لكل ما ارتكبه من جرائم.

رقم «صفر»: عليكما أن تكونا في منتهى الحذر ... وقد قُمت بحجز تذكرتَين لكما على نفس الباخرة، وستحصلان على جوازَي سفر باعتباركما محرِّرَين صحفيَّين متجهَين إلى أمريكا لعمل بعض التحقيقات الصحفية لجريدتكما ... فهذه الصفة تُعطيكما كثيرًا من حرية الحركة والنشاط فوق الباخرة ... حتى لا يشك أحد فيكما ...

وصمت لحظةً ثم أضاف: أيضًا فسوف تتعاملان منذ هذه اللحظة باعتباركما خطيبَين؛ فهذا سيُسهل عملكما وتواجدكما معًا فوق الباخرة.

ترامقت «إلهام» و«أحمد» في نظرة خاطفة ... والتمعت ابتسامة واسعة فوق وجه «أحمد»، على حين خفضت «إلهام» وجهها الذي تورَّد بشيء من الحياء ... وقد راحت دقَّات قلبها تتصاعد بقوة.

وتساءل رقم «صفر»: هل لديكما أية استفسارات؟

أحمد: بالعكس ... فنحن في غاية السرور ... لأنك اخترتنا بالذات لهذه المهمة، وثق أننا سنؤديها على خير وجه.

رقم «صفر»: وفقكما الله.

اتجه «أحمد» و«إلهام» خارجَين من القاعة، على حين تابعتهما نظرات رقم «صفر» حتى اختفيا عن عينَيه، فأزاح نظارته السوداء من فوق وجهه، وظهرت عيناه الواسعتان السوداوان عميقتَين ... قاسيتَين ... بهما مزيج من القوة والثقة التي لا حدَّ لها.

البحث عن «جاك» السفاح!

وقف «أحمد» و«إلهام» يُلقيان نظرة وداع أخيرة على ميناء «الدار البيضاء» أو «كازابلانكا»، ذلك الاسم الذي أطلقه البرتغاليون على المدينة عندما أقاموها في القرن السادس عشر على أطلال مدينة «أنغا» ... وعندما ذهب البرتغاليون جاء الفرنسيون ليحتلوها ... إلى أن حصلت البلاد على استقلالها، وظلَّت الدار البيضاء محتفظةً باسمها القديم الساحر الذي كان علامةً مميزة لها.

تأمَّل «أحمد» الميناء ... ورءوس المباني القديمة البعيدة ذات الواجهات البيضاء.

والشمس قد أوشكت على الغروب خلف سطح المحيط ... والتفت إلى «إلهام» وقال لها: فلنهبط إلى قُمرتنا.

واتجه الاثنان هابطَين لأسفل، وكانت هناك قُمرتان محجوزتان باسمَيهما تجاوران بعضهما، فوضع «أحمد» و«إلهام» حاجياتهما بداخل حجرتَيهما، وقالت «إلهام» لـ «أحمد»: كان من الواجب أن نحضر بعض الأسلحة معنا تحسُّبًا لأية ظروف.

ابتسم «أحمد» قائلًا: لا أظن أن أي خطيبَين سيحملان القنابل والمسدسات بدلًا من الورود ودعوات العشاء.

تورَّد وجه «إلهام» مرةً أخرى وقالت: ولكننا لا نعرف ما هو الخطر الذي سنواجهه فوق هذه الباخرة.

أحمد: لا أظن أن «جاك» السفاح سيخاطر بحمل أية أسلحة معه خلال رحلته؛ فالمفروض أنه مسافر عادي ليست له أية علاقة بأعمال القتل والإرهاب، ولديه أوراق سليمة تقول ذلك ... فما الداعي لأن يحمل أسلحةً أو قنابل معه؟

إلهام: ولكنه رجل خطير جدًّا ... وحتى إذا لم يحمل معه أية أسلحة، فإنه يظل خطرًا إلى النهاية.

أحمد: هذا صحيح ... وعلينا أن نواجه خطورته بوسائلنا الخاصة ... إننا أيضًا خطرون ... ولكن على المجرمين.

وأخرج قائمةً كبيرة من جيبه وضعها أمامه قائلًا: هذه قائمة بأسماء ركاب الباخرة، وهم حوالي مائتَي راكب، وبهم بعض المشاهير والمعروفين، وعلى رأسهم المليونير الإسباني «سانشوكار أميلا»، وأيضًا الممثل الأمريكي المعروف «فورد هاجمان»، والذي كان يقوم بتصوير آخر أفلامه في المغرب.

وبابتسامة واسعة أضاف: يقولون إنه شديد الجاذبية؛ ولهذا فإن كثيرًا من الحسناوات يَكُن بصحبته دائمًا.

وأمسكت «إلهام» بالقائمة وهي تقول: إنني أرى أسماءً أخرى؛ مثل الكولونيل «البرتوسيزار»، القائد السابق للقوات الأمريكية في فيتنام ... وكذلك «جون ساكس»، المطرب الإنجليزي المعروف.

أحمد: يبدو أن هذه الرحلة حافلة بالمشاهير.

إلهام: من المؤكد أن أشهرهم هو «جاك» السفاح، وإن كان من المؤسف أن أحدًا لم يُعلن عن ذلك ... وإلا لهرب الركاب بأنفسهم من هذه الباخرة قبل إقلاعها، كما يهرب الناس من الوباء.

وصمتت لحظةً مفكرة، ثم تساءلت: تُرى لو كنت أنت «جاك» السفاح ... فما هي الملامح التي كنت تختارها لنفسك إذا أردت أن تُخفي حقيقتك بقية حياتك؟

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: لا أظن أنني كنت سأحاول أن أُغيِّر طبيعتي كرجل ... فمن المستحيل أن يقضي رجل مثل «جاك» السفاح حياته بوجه امرأة مثلًا ... وبذلك فمن المؤكد أنه لا يزال يحتفظ بملامحه كرجل.

إلهام: إن هذا فرض صحيح تمامًا.

أحمد: أيضًا من المؤكد أن «جاك» سيحاول أن يختار ملامح أبعد ما تكون عن حقيقته؛ فإن الصور التي زوَّدنا بها رقم «صفر» لـ «جاك» السفاح، وهي آخر صور التُقطت له عندما سُجِن في إنجلترا قبل هربه، هذه الصور تُظهره خشنًا، حادَّ الطباع، له ندبة عميقة في جبهته. وأعتقد أن أفضل تنكُّر وملامح جديدة سيفكِّر فيها «جاك» هي أن تكون له ملامح رقيقة؛ حتى يكون بعيد الشبه تمامًا عن «جاك» السفاح.

إلهام: أو ربما يكون قد بدَّل ملامحه بملامح رجل عجوز ... فهذا أفضل نوع من أنواع التخفِّي ...

أحمد: إلا إذا أراد «جاك» أن يخدعنا جميعًا.

تساءلت «إلهام» في دهشة: كيف ذلك؟!

أحمد: بأن يحتفظ «جاك» بالخشونة البادية على وجهه، فيكتفي مثلًا بتغيير حجم أنفه، أو اتساع فمه، أو مجرَّد إخفاء الندبة التي فوق جبهته، أو لون عينَيه الداكنتَين، وربما فكَّر في من يبحثون عنه بأنهم سيظنون أنه قد تحوَّل إلى وجه رقيق جميل، ومن ثم احتفظ بكثير من خشونته حتى يكون بعيدًا عن الشُّبهة.

قالت «إلهام» في قلق: إن هذا يجعل دائرة الاشتباه تشمل كل الرجال فوق الباخرة فوق سن الأربعين.

أحمد: هذا صحيح ... وإن كان هذا لا يدعو لليأس ... فحتى لو استطاع «جاك» أن يغيِّر من ملامحه، فمن المؤكد أنه لن يستطيع تغيير طباعه وعاداته ... فرجل قضى سنوات طويلةً في السجن، ثم في حياة الجريمة، وبعدها في الأدغال والإرهاب؛ مثل هذا الرجل ستفضحه تصرفاته مهما حاول أن يُخفيها ... وبذلك ستكون مهمتنا هي مراقبة تصرفات الركاب؛ حتى نكتشف مَن منهم سيقوم بمحاولة إخفاء حقيقته بتصرفات تكشف عكس شخصيته التي يظهر بها.

إلهام: علينا إذن أن نختلط بأكبر قَدر من الركاب، وأن نعقد صداقةً معهم؛ فهذا يتيح لنا فرصةً أوسع لمراقبة أكبر عدد منهم.

نظر «أحمد» إلى ساعته وقال: عندك حق ... والآن فلنذهب إلى صالة الطعام فقد حان وقت العشاء.

إلهام: لقد بدأتُ أشعر بالجوع بالفعل ... هيا بنا.

واتجهت إلى باب القُمرة عندما أوقفها «أحمد» قائلًا: انتظري يا «إلهام»؛ فقد نسيت شيئًا هامًّا.

توقَّفت «إلهام» في تساؤل ... وأخرج «أحمد» من جيبه عُلبة قطيفة صغيرة ثم فتحها، فظهرت بداخلها دبلتان ذهبيتان ... مدَّ إحداهما إلى «إلهام» في رِقَّة قائلًا: هل هناك خطيبان ... بدون دبل خطوبة؟

وكان العشاء شاعريًّا ... فقد كانت قاعة الطعام الواسعة مُضاءةً بالشموع الكبيرة التي احتلَّت مكان المشاعل التقليدية ... وقد وُضِع فوق كل مائدة شمعدانًا صغيرًا ألقى بظل لهبه على الجالسين فوق كل مائدة.

وكانت هناك باقة ورد صغيرة فوق كل مائدة ... وقد راح العاملون في المكان يذهبون ويجيئون حاملين أطباق الطعام في نشاط ... وقد تصاعدت موسيقى راقصة حالمة من أحد الأركان لتُضفي طابعًا هادئًا ساحرًا على المكان.

همس «أحمد» لـ «إلهام»: لو كنت أعرف أن هذه الباخرة تقدِّم مثل هذا العشاء الساحر بتلك الطريقة لدعوتك لتناول الطعام فيها منذ وقت طويل.

قالت «إلهام» باسمة: ولكننا لم نأتِ من أجل العشاء فقط ... إن هناك ما هو أخطر، وعلينا الانتباه.

أحمد: إن هذا لا يمنعني من تقديم هذه الوردة إليك.

والتقط وردةً حمراء ناضرة من باقة الورود أمامه، وقدَّمها إلى «إلهام» وهو يقول لها: إنها تعبِّر عن مشاعري.

ارتبكت «إلهام» وهي تقول: «أحمد» ... لا تنسَ أننا في مهمة عمل.

أحمد: ولا تنسَي أنت أيضًا أننا مخطوبان ... وهذا جزء من مهمة عملنا.

تناولت «إلهام» الوردة الحمراء بعينَين متألقتَين ... وكان عبيرها فوَّاحًا ... وتلفَّتت حولها ... كان الجالسون إلى العشاء قد راحوا يلتهمون طعامهم في سرور وهم يضحكون ويُثرثرون ... ولمحت «إلهام» الكولونيل الأمريكي، وكان ضخمًا، له شارب كبير ووجه أحمر ... وكان يأكل بشهية ويقهقه، ويتبادل الحديث مع العاملين في المكان بمرح ظاهر ... وإلى يساره جلس المليونير الإسباني وهو يأكل طعامه وحيدًا ... وينظر في ساعته بقلق بين الحين والحين الآخر ... ثم انفجر غاضبًا في العامل المكلَّف بخدمته بسبب تأخُّره في إحضار نوع خاص من الطعام كان قد طلبه منذ لحظات ...

ترامقت عيون «إلهام» و«أحمد» في صمت ... ونهض المليونير الإسباني غاضبًا، وهو يكيل السباب للعامل المسكين، ثم غادر المكان.

قالت «إلهام» بعينَين ضيقتَين: من العجيب أن هذا الرجل كان يبدو في منتهى الرقة وهو يصعد الباخرة ... فقد أفسح لي الطريق، بل وعاونني في حمل حقائبي.

نهضت وهي تقول: من الأفضل مراقبة هذا الرجل.

قاطعها «أحمد»: إن الوقت لا يزال مُتسِعًا أمامنا ... فلا تدعينا نخسر مثل هذا العشاء الرائع.

عاودت «إلهام» جلوسها في صمت ... وراحت تُكمل عشاءها وهي تفكِّر ... كان للمليونير الإسباني ملامح رقيقة ... لعلها أفضل الملامح التي تُخفي وراءها «جاك» لو أنه

أراد التخفِّي ... ولكنه أيضًا كان شخصيةً معروفة، ومن الصعب أن يحل «جاك» محل رجل شهير كهذا دون أن يفتضح أمره.

تذكَّرت «إلهام» شيئًا؛ فقد قال رقم «صفر» إن «جاك» يحمل جواز سفر أمريكي ... وليس إسبانيًّا. وهنا تلاقت عينا «إلهام» بـ «أحمد»، وعرفت لماذا طلب منها أن تستكمل عشاءها، ولا تسعى وراء المليونير الإسباني.

التفتت «إلهام» إلى اليمين فشاهدت المطرب الإنجليزي الشهير «جون ساكس» جالسًا مع خطيبته الحسناء وهما يتهامسان في رقَّة وعذوبة ... فراحت «إلهام» تنظر إليهما في فضول، فنظر إليها المطرب الإنجليزي بنظرة طويلة مندهشة، فأدارت «إلهام» وجهها وهي تشعر بالخجل ...

وفي نفس اللحظة كان الممثل الأمريكي «فورد هاجمان» يدخل إلى صالة الطعام متأبطًا ذراع فتاة حسناء رائعة الجمال ... وعلى الفور تعلَّقت أبصار الجالسين بالمُمثِّل الوسيم وصديقته، وراح «فورد» يوزِّع ابتساماته على الجالسين وهو يمر أمام موائدهم ... وما كاد يجلس إلى مائدته مع صديقته حتى اندفع نحوه بعض الجالسين، وأغلبهن من الفتيات والحسناوات وهن يطلبن توقيعه فوق أوتوجرافاتهن.

ونهض المطرب الإنجليزي نحو المُمثل الأمريكي ... فتعانقا وانضمَّا إلى مائدة واحدة، وكان واضحًا أنهما يعرفان بعضهما، وعلى صداقة وطيدة.

تنهَّدت «إلهام» وهي تقول: يبدو أن مهمتنا لن تكون سهلة.

ونظرت نحو الجالسين للعشاء وقالت: لن يكون سهلًا علينا اكتشاف شخصية ذلك المجرم وسط عشرات من المُشتبه فيهم. إننا سنكون كمن يبحث عن إبرة في كوم قش.

وأطرقت برأسها في صمت وضِيق ... فلم تلحظ العينَين القريبتَين منها، واللتَين لمعتا ببريق حادٍّ مليء بالقسوة والعنف وسفك الدماء ... بالرغم من مظهر صاحبهما البريء ...

الكولونيل الأمريكي!

لم يغمض لـ «أحمد» جفن طوال تلك الليلة، وظلَّ يتقلَّب فوق فراشه مُسهَّدًا ... كان يستعرض في ذهنه شريط أحداث الليلة وموائد العشاء، ويسترجع تصرفات كل من كانوا بالمكان.

وكان متأكدًا أن الشخص المطلوب كان قريبًا منه. لم يكن «أحمد» يعرف شخصية «جاك» السفاح الجديدة، ولكنه كان واثقًا أنه أحد الذين شاركوه العشاء.

وكان قد بدأ يشك في شخص معين ... كانت مؤهِّلاته وطبيعته تؤهِّله لأن يكون هو الشخص المناسب الذي يتخفَّى وراءه «جاك» السفاح؛ الكولونيل الأمريكي الخشن المظهر والرجل القوي، وهي ملامح قريبة جدًّا من شخصية «جاك» السفاح الحقيقية، وإن كان الكولونيل يتظاهر بالمرح والتبسُّط مع كل من يحادثه أو يقابله؛ ليخفي شيئًا آخر ... هذا بالإضافة إلى جنسيته الأمريكية ... وتساءل «جاك» في قلق وتوتُّر: هل يمكن أن يكون الكولونيل هو «جاك» السفاح بالفعل؟ ... وأنه قد تقمَّص شخصيته ليُبعد الشكوك عنه؟ ... فمن الذي سيظن أن ضابطًا أمريكيًّا كبيرًا حارب في فيتنام، هو نفسه «جاك» السفاح بعد أن بدَّل ملامحه؟

وكان على «أحمد» أن يتأكد من شكوكه ... فألقى نظرةً إلى ساعة يده المضيئة فوجدها الثانية صباحًا ... نهض بهدوء ... وارتدى ملابس خفيفة، وحذاءً مطاطيًّا لا صوت له ... وتسلَّح بسكين صغيرة أخفاها في حزام صغير حول ساقه، ثم اتجه خارجًا من قُمرته في حذر.

نظر «أحمد» إلى الخارج ... وكان ممر القُمرات هادئًا بلا حركة، وقد أضاءته بعض اللمبات الشاحبة الضوء.

وكان «أحمد» يعرف أن قُمرة القبطان تقع إلى يسار الممر؛ فقد زوَّده رقم «صفر» بخريطة لقُمرة كل راكب بالباخرة.

سار «أحمد» في هدوء وحذر إلى نهاية الممر، ثم اتجه يسارًا ... وعلى مسافة قريبة كانت تقع قُمرة الكولونيل الأمريكي ... اقترب «أحمد» وأخرج أداةً صغيرة من جيبه عالج بها باب القُمرة، فانفتح بعد لحظات. ونظر «أحمد» في حذرٍ بداخل القُمرة المظلمة ... ولكن لم يكن بها أحد ... وكانت خاليةً من صاحبها ... وفي هدوء اتجه «أحمد» داخلها ... وراح يفتِّش حاجيات الكولونيل وملابسه بسرعة، وقد راحت أذناه تتنصتان لأية خطوات مقتربة.

ولكن ظلَّ المكان على سكونه ... وأنهى «أحمد» تفتيشه بدون أن يعثر على شيء ... ومدَّ يده نحو الفراش، فاصطدمت أصابعه بشيء صُلب أسفل الوسادة ... والتقط «أحمد» المسدس المخبَّأ أسفل الوسادة ... وبنظرة سريعة تعرَّف على طرازه. كان من المسدسات الشهيرة التي استعملتها القوات الأمريكية في فيتنام، وهو طراز كولت ١٩١١، له خزينة بثماني طلقات ... وهو من المسدسات التي يُفضِّل رجال العصابات استعمالها بسبب دقة تصويبه.

التمعت عينا «أحمد»، وتأكَّد من أن شكوكه كانت في محلها، وبسرعة أعاد المسدس إلى مكانه، ووقف يُنصت كالفهد عندما سمع صوت الخطوات القادمة، فأسرع بالاختفاء خلف دولاب الحائط وكتم أنفاسه ... ولكن الخطوات سارت مبتعدة، فتنفَّس «أحمد» الصُّعَداء، وغادر المكان، وأغلق باب القُمرة واتجه خارجًا ... وفكَّر «أحمد» في أنه ما دام الكولونيل خارج قُمرته، فلا بد أنه يُخطِّط لشيء في الخارج، وهذا الشيء لا يمكن أن يكون إلا عملًا إجراميًّا بكل تأكيد.

أسرع «أحمد» يغادر المكان، واتجه صاعدًا إلى سطح الباخرة ... ولم يكن هناك أحد بأعلى، وحتى العاملون في الباخرة لم يكن لأحدهم أي أثر. كان الظلام يسود سطح الباخرة ولا يبدِّده غير أضواء النجوم البعيدة الواهنة ... ومن الخلف لمع رذاذ الماء والباخرة تشق سطح المحيط في سرعة ...

وفجأةً شاهد «أحمد» شبحًا يبرز من خلف جدار الباخرة ويقفز إلى قلبها ... وأسرع «أحمد» يختفي في أحد الأركان وهو يرمق الشبح بعينَين كالصقر.

وشاهد «أحمد» الشبح وهو يستعيد حبلًا طويلًا تمكَّن بواسطته من النزول على جدار الباخرة الخارجي ثم الصعود مرةً أخرى، ولم يكن لدى «أحمد» أي شك في أن ذلك الشبح الذي أخفى الضوء ملامحه، هو نفسه الكولونيل الأمريكي المزيَّف ... أو «جاك» السفاح، وأنه كان يقوم بعمل ما يجهله «أحمد» ...

أخفى الشبح الحبل داخل ملابسه، وتلفَّت حوله في حذرٍ فلم يلمح أحدًا، فسار مقتربًا من مكان «أحمد» ... وسقطت بقعة قريبة من الضوء على وجه الشبح وظهرت ملامحه ... كان هو الكولونيل الأمريكي ...

وفجأةً برز «أحمد» من مكمنه، وفوجئ الكولونيل بظهور «أحمد» في مكانه لحظةً وقد أخذته المفاجأة ... وقال «أحمد» ساخرًا: يبدو أن رؤيتك لي لم تكن مفاجأةً سارة.

تجهَّم وجه الكولونيل في حذرٍ وغضب، وهتف بعينَين مليئتَين بالشر: من أنت؟ ... وماذا تريد؟

أحمد: ليس هذا هو المهم ... ولكن المهم هو أنني عرفت حقيقتك أنت ... وها أنا قد جئت لتصفية الحساب ... حسابك القديم.

وانطلقت قبضة «أحمد» مثل طلقة الرصاص نحو الكولونيل، ولكن الرجل العجوز تحاشى الضربة بسرعة بالغة، وانطلقت ضربة إلى «أحمد»، وأحسَّ «أحمد» بشيء ثقيل يصدمه مثل طلقة المدفع ... وترنَّح «أحمد» إلى الوراء لحظةً وقد أخذته المفاجأة وقوة الضربة، وقبل أن يُتبع الكولونيل المزيَّف ضربته بأخرى، قفز «أحمد» في الهواء، وبكل قوة صوَّب ضربةً هائلة نحو الكولونيل.

وأصاب «أحمد» الرجل إصابةً بالغة، فترنَّح إلى الخلف وسقط فوق الأرض، فلمعت عيناه بوميض غضب هائل ... ونهض في بطء وعيناه مصوَّبتان نحو «أحمد» كأنهما جمرتان من النار تلتمعان في الظلام.

وقال «أحمد»: لا أمل لك في النجاة.

قال الكولونيل بصوت كالفحيح: يبدو أنني كنت مخطئًا ... وأنك أنت الشخص الذي أبحث عنه ... لكي أتخلَّص منه ... وأنه ليس الآخر.

وبسرعة البرق أخرج الكولونيل مسدسًا صغيرًا من جيبه، وقفز «أحمد» في الهواء ليتحاشى طلقة الرصاص المكتومة، ولكن الطلقة مسَّت ساقه فجرحته، وتدحرج «أحمد» فوق سطح الباخرة وطلقات الرصاص تتبعه وهو يتحاشاها بحركته السريعة ... وتوقَّف الكولونيل عن إطلاق الرصاص عندما نَفِد رصاص مسدسه، وأسرع يختفي كالشبح.

نهض «أحمد» متحاملًا على قدمه المصابة، وشاهد شخصًا يندفع نحوه، فأخرج سكينه واستعدَّ للقتال برغم إصابته ... ولكنها كانت «إلهام» ... فاندفعت إليه في انزعاج شديد هاتفة: «أحمد»! ... ماذا حدث لك؟

أجابها «أحمد»: إنها إصابة بسيطة ... لقد عثرت على «جاك» السفاح وتقاتلت معه، ولم أكن أتوقَّع أنه يمتلك مسدسًا آخر؛ ففوجئت بإطلاقه الرصاص علي.

هتفت «إلهام» في دهشة: هذا هو ما خمَّنته أيضًا ... إن «جاك» السفاح هو نفسه الكولونيل ... ويبدو أننا قد استنتجنا نفس الشيء في وقت واحد ... فأنا أيضًا لم يغمض لي جفن، وغادرت قُمرتي لأخبرك بشكوكي في هذا الرجل، ولكني وجدت حجرتك خاليةً فأسرعت إلى هنا ... فلنسرع بالقبض على هذا المجرم.

أحمد: لا يا «إلهام» ... من الخطأ أن نحاول القبض على هذا السفاح فورًا ... فلا بد أنه قد احتاط لنا بعد أن كشفناه، ولعله قد أعد خدعةً جديدة لنا إذا حاولنا القبض عليه ...

إلهام: إذن فلنخبر القبطان عن الحقيقة ليساعدنا في القبض على هذا المجرم.

أحمد: ولا هذا أيضًا؛ فسوف ينتشر الخبر ويُصاب رُكاب الباخرة بذعر قاتل، وربما يدفع ذلك «جاك» السفاح إلى مزيد من سفك الدماء، خاصةً وهو مسلح، وهو الشيء الذي لم نتوقعه ...

تساءلت «إلهام» في قلق: وما العمل الآن؟

أحمد: علينا أن نعود إلى قُمرتَينا ... وأعتقد أن «جاك» السفاح لم يستطع التعرف عليَّ عندما واجهتُه بسبب الظلام؛ وبذلك فهو لا يعرف من الذي يسعى خلفه، وهذا يعطينا فرصة، ويمكننا أن ندبِّر له خدعةً للقبض عليه بدون أن نتسبَّب في سقوط أي ضحايا من ركاب الباخرة.

واتجه الاثنان هابطَين إلى قُمرتَيهما في حذر، ولم يجدوا غير بعض العُمال الذين مرُّوا بهما عن بُعد ولم يلاحظاهما.

وكشف «أحمد» عن ساقه فشاهد جرحًا بسيطًا، فأسرعت «إلهام» بتضميده وهي تقول: حمدًا لله؛ فالإصابة سطحية.

أحمد: اذهبي إلى قُمرتك، وفي الصباح سوف نخطِّط للقبض على هذا المجرم في هدوء.

نظرت «إلهام» إلى «أحمد» في قلق، وسألته: هل أنت واثق أن هذا المجرم لم يتعرَّف عليك، وأنه لن يحاول قتلك أثناء نومك؟

أحمد: فليحاول ذلك فيكون فيه نهايته، وتخليص العالم من شره.

ولمعت عيناه ببريق نضال هائل ... واتجهت «إلهام» خارجةً من القُمرة، ووقفت ببابها وهمست قائلةً لـ «أحمد»: كن حذرًا.

وغادرت المكان واتَّجهت إلى قُمرتها وأغلقت بابها، ولكن لم تُغمض جفنَيها، وظلَّت ساهرةً وقد انتبهت حواسُّها بشدة تحسُّبًا لأية محاولة قد يقوم بها «جاك» السفاح للاعتداء على «أحمد».

ولكن «أحمد» كان أكثر هدوءًا وثقةً من أن «جاك» لم يتعرَّف عليه، فأغلق باب قُمرته، وسرعان ما غرق في النوم وهو يعرف أن الغد سيكون حافلًا بالنشاط، وأن عليه أن يكون مستعدًّا تمامًا.

واستيقظ «أحمد» على طرقات «إلهام» فوق الباب ... ونظر في ساعته فوجدها التاسعة صباحًا، فتمطَّى في فراشه، وطمأن «إلهام» ووعدها أنه سيخرج قبل ربع ساعة، وأخذ حمامًا باردًا، وبدَّل ملابسه، ثم اتجه خارجًا.

وسألته «إلهام» في لهفة: كيف حالك؟

أجابها باسمًا: في خير حال ... فقد نمت نومًا عميقًا.

قالت «إلهام»: أما أنا فلم يغمض لي جفن طوال الليل.

نظر إليها «أحمد» في ودٍّ وقال: كنت أعرف أن ملاكي الحارس سيظل مستيقظًا لحراستي؛ ولذلك نمت نومًا عميقًا وأنا في أشد الاطمئنان.

ابتسمت «إلهام» لتعليق «أحمد»، وزال عنها قلقها ... واتجه الاثنان إلى قاعة الطعام، وراحا يلتهمان الإفطار في شهية وهما يراقبان مدخل القاعة.

وهمست «إلهام» لـ «أحمد»: لم يظهر الكولونيل حتى الآن.

أحمد: لعله لا يزال نائمًا ... علينا أن نكون في منتهى الهدوء والحذر؛ فقد خطَّطت خطةً للقبض على هذا المجرم في هدوء بدون أن ندفعه إلى استخدام العنف، ولكننا لن نستطيع القيام بها إلا في المساء، وبعد أن ينام جميع رُكاب الباخرة ... ومرَّ النهار هادئًا بدون أن يظهر الكولونيل ... وحتى في الغداء والعشاء لم يظهر في قاعة الطعام.

وقالت «إلهام» في قلق لـ «أحمد»: لا يمكن أن يبقى هذا السفاح بلا طعام طوال هذه المدة.

أحمد: لقد استفسرت من العاملين في المطعم، فعرفت أن أحدًا منهم لم يذهب بطعام إليه في قُمرته، وأنه لم يغادر القُمرة منذ الصباح.

تضاعف قلق «إلهام» وهي تقول: «أحمد» ... هل يمكن أن يكون هذا المجرم قد هرب؟

أحمد: هرب! ... كيف؟

إلهام: لا أدري؛ فربما بعد أن هاجمتَه مساء الأمس شعر أن هناك من يطارده على الباخرة فقرَّر الهرب.

أحمد: ولكن كيف سيهرب من الباخرة ونحن في قلب المحيط؟

قالت «إلهام» في حيرة: لا أدري ... ولكنه قد فعلها من قبلُ عندما هاجمه رجال الشرطة الإنجليز عندما كان يعبر بحر المانش، فاستطاع الهرب منهم بطريقة لم يكتشفها أحد حتى الآن ... ولعله فعل نفس الشيء هذه المرة أيضًا.

ظهر القلق على وجه «أحمد» لأول مرة وقال: هل يمكن أن يكون قد حصل على أحد قوارب الإنقاذ في الليل وهرب بها في المحيط؟

إلهام: هذا احتمال قائم.

أحمد: إذن فلنبحث عن قوارب الإنقاذ.

ولكن البحث لم يفِد شيئًا؛ فقد كانت القوارب كلها في أماكنها، ولم يختفِ أحدها، وتقابلت عينا «إلهام» و«أحمد» في قلق.

قال «أحمد» في بطء: لم يبقَ علينا غير تفتيش حجرة هذا المجرم.

هتفت «إلهام» في قلق: لعله قد تعمَّد أن يختفي ليدفع من طارده بالأمس إلى محاولة البحث عنه في حجرته فيقوم بقتله.

أحمد: علينا أن نخاطر مهما كان الثمن.

وفكَّر لحظةً وأضاف: ولن أدخل حجرته من الباب هذه المرة ... بل من نافذة قُمرته.

وأعدَّ «أحمد» حبلًا طويلًا ... وفي منتصف الليل، وبعد أن أوى رُكاب الباخرة إلى قُمراتهم، استعدَّ «أحمد» و«إلهام» للعمل.

وفي حذرٍ صَعِدا لأعلى سطح الباخرة المظلم ... وثبَّتت «إلهام» الحبل في جدار سور الباخرة، أعلى قُمرة الكولونيل المزيَّف ... وبدأ «أحمد» هبوطه الحذر مثل الفهد، و«إلهام» تتابعه من أعلى بعينَين مليئتَين بالقلق، وهمست «إلهام»: كن حذرًا يا «أحمد».

واصل «أحمد» هبوطه في الظلام ... ولم يعد يفصله عن سطح الماء غير مترٍ واحد وهو مُعلَّق في الحبل ... وظهرت نافذة قُمرة الكولونيل المزيَّف على مسافة قريبة إلى يسار «أحمد»، فتأرجح قليلًا حتى تمكَّن من الوصول إليها، وفي حذر تعلَّق بإفريزها، ومرَّت لحظات من الصمت و«أحمد» يتنصَّت، ولكنه لم يسمع شيئًا بداخلها.

كانت الحجرة مظلمة ... فأضاء «أحمد» كشافًا صغيرًا صوَّبه إلى داخل القُمرة عبر نافذتها ... واتسعت عينا «أحمد» ذهولًا وهو يشاهد جسد الكولونيل الممدَّد فوق فراشه، وقد اخترقت رصاصةٌ رأسه، فجحظت عينا الكولونيل وهو ساكن سكون الموت.

اكتشاف متأخِّر!

صَعِد «أحمد» لأعلى بسرعة وهو يلهث. سألته «إلهام» مندهشةً عمَّا شاهده بأسفل ... فقال لها: لقد قُتِل الكولونيل! ... هناك من أطلق الرصاص عليه فقتله في فراشه.

هتفت «إلهام» غير مصدقة: هذا مستحيل! ... فمن الذي فعل ذلك؟

أحمد: لا أدري ... إنها مفاجأة مذهلة.

وتلفَّت حوله وهو يقول: فلنسرع بمغادرة هذا المكان.

وحلَّ الحبل الذي هبط به لأسفل، وأسرع الاثنان يهبطان إلى قُمرتَيهما ... وقال «أحمد» وهو يُحدِّق في فراغ الحجرة: إن ما حدث يقلب كل الأوضاع ... فإن قتل الكولونيل بمثل تلك الطريقة يعني شيئًا واحدًا ... أنه ليس «جاك» السفاح.

قالت «إلهام» معترضة: ولكن، من يكون «جاك» السفاح إذن؟!

ببطء أجابها «أحمد»: إنه من قام بقتل الكولونيل.

نظرَت «إلهام» في حيرة إلى «أحمد»، فقال شارحًا: إن الاستنتاج الوحيد المقبول لتفسير هذا الأمر هو أن الكولونيل أيضًا كان يبحث عن «جاك» السفاح ... مثلنا ... وهذا يفسِّر وجود المسدس معه، وخروجه من حجرته بعد منتصف الليل؛ فلا شك أنه كان يسعى خلف «جاك» مثلنا ... ومن المؤكَّد أنه كان مُكلَّفًا بذلك من جهة أمريكية كان يُهمها القبض على «جاك» السفاح واكتشاف حقيقته ... كالمخابرات الأمريكية أو المباحث الفيدرالية ...

إلهام: هذا مُذهل! ... ونحن الذين ظننا أنه «جاك» نفسه.

أحمد: يبدو أننا قد تسرَّعنا في الحكم على ظاهر الأمور ... ومن المؤكَّد أن الكولونيل القتيل قد استطاع الوصول إلى حقيقة «جاك» ... وبسبب ذلك دفع حياته ثمنًا لهذا الاكتشاف ... فلا بد أن «جاك» قد شكَّ فيه فقرَّر التخلُّص منه فورًا.

قالت «إلهام» في غضب: إذن فقد سقطت ضحية جديدة لهذا المجرم.

أحمد: من المؤسف أنه فاز مرةً أخرى.

وضاقت عيناه وهو يقول: لو أنني قد فهمت الأمر على حقيقته عندما قابلت الكولونيل فوق سطح الباخرة، لربما أمكنني إنقاذ حياته.

تساءلت «إلهام» بدهشة: كيف ذلك يا «أحمد»؟

أجابها: عندما ضبطتُ الكولونيل فوق سطح الباخرة وظننته «جاك» السفاح، قلت له إنني قد جئت لتصفية الحساب القديم، فقال مندهشًا بعد أن تقاتلنا بأنه كان مخطئًا، وأنني الشخص الذي يبحث عنه ... وأنه ليس الشخص الآخر ... وهذا معناه أن الكولونيل كان يشك في شخص آخر بأنه «جاك» السفاح وكان يراقبه، ولكن تقاتلت أنا معه فظن أنني «جاك» السفاح.

إلهام: هذا مذهل! ...

أحمد: أمَّا «جاك» السفاح الحقيقي فمن المؤكد أنه شعر بشكوك الكولونيل حوله ومراقبته له؛ لذلك قرَّر التخلُّص منه بالقتل.

وسادت لحظات طويلة من الصمت بعد كلمات «أحمد» الذي ظهر عليه الضيق الشديد، وغمغم قائلًا: لو أنني فهمت الحقيقة وقتها ...

إلهام: لا يزال أمامنا متَّسع من الوقت للكشف عن شخصية «جاك» السفاح الحقيقية.

أحمد: إنني أشعر بنذير الخطر ... فما دام «جاك» السفاح قد ارتكب أولى جرائمه فوق ظهر الباخرة، فليس من المستبعد أن يرتكب جرائم أخرى ...

إلهام: سوف نحول دون ذلك مهما كان الثمن ... ولكن علينا أن نعمل في حذرٍ شديد حتى لا نلفت أنظار «جاك» السفاح إلينا فيسعى للتخلُّص منا.

أحمد: وسوف يكتشفون غدًا موت الكولونيل بكل تأكيد ... وسنتظاهر بأننا لا نعرف شيئًا عن هذا الأمر.

وغادر «أحمد» قُمرة «إلهام» متجهًا إلى قُمرته بعد أن أوصاها بإغلاق بابها جيدًا ... ووقفت «إلهام» خلف الباب المغلق وقلبها يدق بشدة ... فقد كان بداخلها إحساس قوي بأن عينَي «جاك» السفاح قد رصدتهما ... وأنه قد يحاول قتلها في أقرب وقت.

وكما توقَّع «أحمد» فقد تمَّ اكتشاف قتل الكولونيل في الصباح، عندما ذهب «قبطان» الباخرة إلى قُمرته للاطمئنان عليه، وعندما طرق الباب ولم يردَّ الكولونيل من الداخل أحضر القبطان مفتاح القُمرة وفتحها، فاكتشف الجريمة.

وساد الذعر فوق الباخرة بعد اكتشاف جثة الكولونيل ... ولم يُسْفر التحقيق الذي أجراه القبطان عن معرفة الفاعل أو سبب ارتكاب الجريمة ... وقام القبطان بالتحفُّظ على جثة الكولونيل في إحدى ثلاجات الباخرة، وأخطر الشرطة الأمريكية بالحادث، فجاءه الرد بأن يحتفظ بأشياء الكولونيل في حجرته كما هي لفحصها حين وصول الباخرة إلى الشاطئ الأمريكي.

وتجمَّع الركاب فوق سطح الباخرة ولا حديث لهم غير قتل الكولونيل الذي لم يعرف أحدٌ له سببًا.

وجلست «إلهام» و«أحمد» فوق أحد المقاعد الشمسية وهما يراقبان ردود الفعل لدى رُكاب الباخرة، وكانت علامات الذهول والخوف واضحةً على وجوه الجميع.

همست «إلهام» لـ «أحمد»: ... من الصعب أن نكتشف حقيقة ذلك المجرم وشخصيته من مجرَّد مراقبة وجوه الركاب ...

أحمد: هذا صحيح ... ويبدو أن ذلك السفاح لديه مهارات لا حدَّ لها، وأنه نجح في تقمُّص الشخصية التي اختارها لنفسه.

قالت «إلهام» في قلق: وما العمل الآن؟ ... كيف سنهتدي إلى شخصية هذا المجرم قبل وصول الباخرة إلى أمريكا؟

أحمد: علينا أن نُعد فخًّا لهذا السفاح نجعله يسعى إلينا فنمسك به.

إلهام: كيف ذلك؟

أحمد: سنُضطر للكشف عن أنفسنا لهذا السفاح، فندفعه إلى مطاردتنا ومحاولة قتلنا.

هتفت «إلهام» محتجَّة: ماذا تقول يا «أحمد»؟

أجابها «أحمد» في هدوء: ليس أمامنا غير ذلك ... فكما قلت أنت من الصعب وربما من المستحيل اكتشاف حقيقة ذلك السفاح في شخصيته الجديدة ... وإن كان الكولونيل قد اهتدى إلى حقيقة «جاك» بطريقة ما، فلنحاول أن نتظاهر بذلك أيضًا لندفع «جاك» لمحاولة قتلنا كما فعل بالكولونيل ... وهنا سنكون مستعدين له تمامًا فنمسك به ونكتشف حقيقته.

إلهام: إنها خطة خطرة.

أحمد: ليس أمامنا غيرها ... وعلينا أن نخاطر.

نهضت «إلهام» ببطء وعقلها مشحون بالتفكير ... واقتربت من حاجز سور الباخرة، وراحت ترمق الأمواج والزَّبَد الأبيض فوق سطح المحيط والباخرة تشقه منطلقةً بأقصى

سرعتها ... ولفت انتباهها سمكة قرش كبيرة لا يقل طولها عن المترَين عائمة تحت سطح الماء، وقد ظهر ذيلها المثلَّث المخيف فوق سطح الماء ... وتجمَّع الركاب أمام حاجز الباخرة وهم يراقبون السمكة المتوحِّشة الكبيرة التي راحت تطارد الباخرة بنفس سرعتها، كأنها تنتظر منها وجبة طعام.

أمسك أحد الركاب بقطعة لحم نيئ ألقاها إلى الماء، فانقضَّت عليها سمكة القرش تفترسها، وظهر جسدها القوي المخيف وأسنانها التي تشبه أسنان المنشار وهي تمزِّق قطعة اللحم.

وهتف قبطان الباخرة في الراكب الذي ألقى قطعة اللحم: هذا خطأ ... سوف تستمر هذه السمكة في متابعتنا وقتًا طويلًا بسبب ذلك ... وربما تتبعها بعض الأسماك الأخرى المتوحشة ...

قال الراكب ساخرًا: وماذا في ذلك؟ هل يمكن لهذه الأسماك مهما كانت درجة توحُّشها أن تصعد إلى الباخرة فتلتهم أحد الركاب؟ ...

التفتت «إلهام» نحو «أحمد» ... وشاهدته وهو لا يزال فوق مقعده الشمسي غارقًا في أفكاره ... وعندما همَّت بالحركة والاتجاه نحوه، أحسَّت فجأة بيدٍ قوية تدفعها من فوق حاجز الباخرة ... ولم تدرِ «إلهام» بنفسها إلا وقد اختلَّ توازنها بسبب الدفعة المفاجئة، فصرخت وهي تسقط في قلب الماء!

محاولة للقتل!

انتبه «أحمد» على الصرخات التي تعالت من الركاب الواقفين أمام حاجز الباخرة، وعلى الفور تنبَّهت حواسه وألقى بنظرة خاطفة إليهم.

لم تكن «إلهام» في مكانها، وشعر «أحمد» بإحساس شديد بالخطر، وبقفزة واحدة كان قد صار أمام حاجز السفينة، فلمح «إلهام» في وسط الماء وهي تصارع الموج، وقد اتجهت نحوها سمكة القرش الكبيرة المتوحشة.

لم يكن أمام «أحمد» أي وقت للتفكير فيما حدث، أو لمحاولة الحصول على السلاح لقتل سمكة القرش، وفي أقل من ثانية كان قد اتخذ قراره فقفز إلى الماء بلا تردُّد، واندفع يسبح نحو «إلهام» بكل قوته. كانت المسافة التي تفصلهما تصل إلى مائتَي متر وربما أكثر ... وكانت سرعة سمكة القرش التي أصابها التوحُّش أكبر كثيرًا من سرعة «أحمد».

واندفعت سمكة القرش تهاجم «إلهام». استعادت «إلهام» تمالكها بعد قليل ... وتأكَّدت أن اليد التي دفعتها إلى قلب الماء فعلت ذلك عمدًا.

كانت يد «جاك» السفاح بكل تأكيد ... وقد سبقهما إلى العمل للتخلص منهما بطريقة لا تخطر على بالٍ ...

وكان على «إلهام» أن تخوض معركتها ضد سمكة القرش المتوحِّشة، وهي حتى بلا أي سلاح ... لم يعد يفصل سمكة القرش عن «إلهام» غير أمتار قليلة، والسمكة تندفع نحوها في سرعة محمومة ... وكانت المواجهة تمثِّل خطورةً شديدة على «إلهام»؛ فلم تكن تملك ما تقاتل به، فغاصت إلى أسفل بسرعة مثل سمكة ماهرة ... واندفعت السمكة خلف «إلهام» وقد فتحت فمها الرهيب عن آخره.

ومرةً أخرى ناورت «إلهام» واستطاعت أن تدور حول السمكة بسرعة كبيرة، ثم تعلَّقت بذيلها بكل قوتها.

وانتفضت السمكة بشدة محاولةً التخلُّص من «إلهام»، فضربت ذيلها في الماء بشدة وبقوة ... ولكن «إلهام» تشبَّثت أكثر بذيل السمكة المتوحِّشة؛ فقد كانت تعرف أن مجرَّد تركها للذيل قد يعني موتها؛ فالسمكة لن تستطيع أن تصل إليها طالما ظلَّت متعلِّقةً بذيلها.

واندفعت السمكة تغوص لأسفل وأعلى وهي تهز ذيلها بكل قوة ... وأحسَّت «إلهام» بنفَسها يضيق؛ كانت بحاجة إلى الهواء للتنفُّس ... وكانت قواها قد بدأت تخور أيضًا، وتشعر بالضعف لِمَا بذلته من مجهود للتعلُّق بذَيل السمكة والتغلُّب على لطمها وحركاتها السريعة.

ولم تعد «إلهام» تتحمَّل المزيد ... وأحسَّت أن قواها تخونها فأفلتت ذيل السمكة من ذراعها واستعدَّت لتواجه مصيرها.

واندفعت السمكة في توحُّش وغضب جنوني نحو «إلهام»، ولكن ... في نفس اللحظة الأخيرة برز «أحمد» في منتصف المسافة بالضبط بين السمكة وفريستها ... وفوجئت السمكة به ... وعلى الفور غيَّرت وِجهة هجومها ... كان «أحمد» مُسلَّحًا بسكينته الصغيرة التي كان يحتفظ بها في حزام ساقه، ولا يزيد طولها عن عشرين سنتيمترًا ... وكان يعرف أنها سلاح غير مُجدٍ أو كافٍ أمام سمكة متوحِّشة ... ولكن لم يكن أمامه غير أن يخوض معركته الانتحارية لإنقاذ «إلهام» ... ولو كان الثمن حياته هو ...

وسبح «أحمد» بسرعة مبتعدًا عن مكان «إلهام» ... فاندفعت السمكة خلفه ... وكان هذا ما يريده «أحمد»؛ بالضبط أن يبعد السمكة عن «إلهام».

وبدأت السمكة المتوحِّشة هجومها ... وزاغ منها «أحمد» غائصًا لأسفل، ولكن أسنان السمكة أطبقت على قدمه فانتزعت حذاءه ومزَّقت بنطلونه، ولولا أنه جذب قدمه في اللحظة الأخيرة لالتهمتها السمكة المتوحِّشة ... وعلى الفور استدار «أحمد» أسفل السمكة وطعنها في قلبها ... وانتفضت السمكة في توحُّش بسبب الطعنة، ولطمت «أحمد» بذيلها فدفعته بعيدًا، وأثارتها رائحة الدماء التي نزفت منها فزادت توحُّشها ... وشرعت تُواصل هجومها بجنون لا مثيل له.

كان «أحمد» يعرف أن إصابته للسمكة غير قاتلة بسبب صِغر حجم السكين، وكان عليه أن يختار أسلوبًا آخر للمواجهة والقتل غير المتكافئ ... وانقضَّت السمكة على «أحمد»، وقبل أن تُطبق عليه بأسنانها الرهيبة أغمد سكينه في عين السمكة اليسرى، وبسرعة خارقة أخرج السكين. أغمدها في العين الأخرى، وانقضَّت السمكة في جنون وقد تفجَّرت من عينَيها الدماء، وراحت السمكة تتلوَّى حول نفسها من الألم بدون أن ترى شيئًا ...

وأسرع «أحمد» يسبح مبتعدًا عن مكان السمكة المتوحِّشة التي أصابها الجنون وقد ملأت دماؤها المكان ...

وكان «أحمد» يعرف ما يعنيه ذلك؛ فسوف تجذب رائحة الدماء عشرات من أسماك القرش الأخرى المتوحشة، وكان عليه أن يغادر ذلك المكان مع «إلهام» في أسرع وقت.

وسبح «أحمد» باتجاه «إلهام» التي كانت خائرة القوة ... واندفعا يسبحان بكل سرعتهما، ومن الخلف بدأت الذيول المثلثة تشق قلب الماء متجهةً إلى رائحة الدماء ... وشعر «أحمد» و«إلهام» بالحصار ...

ولكن ... ومن نفس الاتجاه جاء الإنقاذ ... فقد توقَّفت الباخرة عن الإبحار بعد أن سقط اثنان من رُكابها ... وأعطى القبطان أوامره بالعودة إلى مكانهما.

واندفعت الباخرة نحوهما ... ومن الناحية الأخرى اندفعت أسماك القرش ... ولم يكن هناك أي وقت لإرسال قارب إنقاذ من الباخرة، وألقى القبطان بحبل إلى «أحمد» و«إلهام» فتعلَّقا به في اللحظة الأخيرة، واندفعت بهما الباخرة تشق سطح الماء بسرعتها القصوى مبتعدةً عن مكان الأسماك المتوحِّشة.

وتوقَّفت الباخرة على مسافة ... وألقت بسلم من الحبال، فصعد «أحمد» و«إلهام» عليه وهما يلهثان بشدة.

وبأعلى الباخرة استقبلهما الركاب بصيحات الفرح والتصفيق لنجاتهما ... وأحاط الجميع بهما غير مصدقين نجاتهما بتلك الصورة ...

وهُرع القبطان إلى «إلهام» وسألها: كيف سقطتِ من الباخرة؟ ... هل دفعكِ أحد؟

تأمَّلت «إلهام» الوجوه المحيطة بها ... كانت كلها تنطق بالبراءة ... ولكن «إلهام» كانت متأكدةً أن خلف أحد هذه الوجوه البريئة يكمن وجه السفاح ... الذي دفعها إلى الماء لكي يتخلَّص منها، وهو واثق أن زميلها سيسارع بإلقاء نفسه خلفها ... لتأكلهما أسماك القرش معًا.

وفي بطء قالت «إلهام»: لم يدفعني أحد إلى الماء ... فقد زلَّت قدمي أمام الحاجز، وفقدت توازني فسقطت في قلب المحيط ...

وتقابلت عينا «إلهام» و«أحمد» ... فقد صار واضحًا لديهما الآن أن عدوهما قد اكتشف حقيقتَيهما، وأنه قد سعى إلى التخلُّص منهما ... قبل أن يبدآ في نصب الشباك لاصطياده.

وغمغم «أحمد» في صوت غاضب هامس: أقسم أن أنتقم من هذا المجرم ... وسأجعله يدفع الثمن غاليًا.

ومن الخلف لمعت العينان اللتان كانتا تبدوان شديدتا البراءة ... وإن كان قد اختفى خلفهما سفاح لا يرحم ... وارتسمت على شفتَي السفاح ابتسامة ساخرة واثقة، واتخذ قراره بالتخلُّص من «إلهام» و«أحمد» في نفس الليلة.

جريمة جديدة!

همس «أحمد» لـ «إلهام»: هيا بنا نذهب إلى قمرتك؛ فأنت بحاجة إلى الراحة بعد ذلك الخطر الذي واجهته.

تأمَّلت «إلهام» «أحمد» بعينَيها الواسعتَين، وقالت في حنان: لا أدري كيف أشكرك؟ ... لقد أنقذت حياتي.

فأجابها في رقة شديدة: لا أريد أن أسمع منك ذلك مرةً أخرى ... فحياتك هي حياتي.

سار الاثنان في صمت وعيون الركاب تتابعهما في إشفاق وإعجاب ... واتجه «أحمد» و«إلهام» إلى قُمرتَيهما عندما أوقفهما صوت من الخلف يقول: انتظرا.

توقَّف الاثنان ... وكان القادم هو المطرب الإنجليزي «جون ساكس» الذي اقترب من «أحمد» و«إلهام» وحدَّق فيها للحظة قبل أن يقول: إنني أهنِّئكما على نجاتكما ... فقد قاتلتما سمكة القرش بشجاعة منقطعة النظير. وبلهجة خاصة أضاف: وبطريقة دلَّت على أن قدراتكما أكبر بكثير من قدرات اثنَين من الصحفيين.

تأمَّل «أحمد» المطرب الإنجليزي، وضاقت عيناه، وهتف به في خشونة: ماذا تريد؟!

أجاب المطرب: ربما يمكنني مساعدتك.

– في ماذا؟ سألته «إلهام».

المطرب: في الشيء الذي تبحثان عنه.

قالها المطرب في هدوء وثقة ... وتقابلت عيون الثلاثة في نظرة واحدة ... وأكمل المطرب حديثه قائلًا: لقد جئتما تبحثان عن شخص مُعيَّن ... شخص خَطِر بلا شك استطاع أن يتخفَّى في شخصية أخرى، ولا شك أن الجنرال القتيل كان يبحث عن نفس الشيء ... لولا أنه قُتِل.

المطرب: أعتقد ذلك ... فهو وإن استطاع أن يخدع الآخرين فهو لن يستطيع أن يخدعني أنا.

وبدون أن ينتظرَ ردًّا أضاف: سأنتظرك في حجرتي في منتصف الليل حتى أخبرك عن كل ما أعرفه ...

ولا داعي أن أخبرك أن يظل سرًّا بيننا؛ فأنا لا أريد أن أنتهي كما انتهى الكولونيل.

ورفع المطرب يده بالتحية، وابتعد في خطوات واسعة دون أن ينتظر ردًّا ... وتبادلت «إلهام» و«أحمد» النظرات المندهشة، واتجها إلى قُمرة «إلهام»، وما إن أغلقت بابها حتى هتفت في تعجُّب شديد: هل يمكن أن يكون هذا المطرب قد عرف شخصية «جاك» السفاح؟!

أحمد: ولمَ لا؟ ... لعله شاهده وهو يدفع بك من فوق حاجز السفينة.

إلهام: ولكنه قال بأن ذلك الشخص لو استطاع أن يخدع الجميع فلن يتمكن من خداعه هو ... فماذا كان يقصد؟

أحمد: لا أدري.

ظهر القلق على وجه «إلهام»، وقالت في شك: إنني أخشى أن تكون تلك خدعة أخرى من خُدَع «جاك» السفاح.

تساءل «أحمد» بدهشة: وما علاقة «جاك» بهذا المطرب؟

إلهام: لماذا لا يكونان شخصًا واحدًا؟

أحمد: ماذا؟

قالت «إلهام» في هدوء: لعل المعلومات التي وصلت رقم «صفر» بأن «جاك» السفاح سيسافر بجواز سفر أمريكي معلومات خاطئة ... وأن «جاك» لم يجد أفضل من شخصية مطرب مشهور ليسافر باسمه بعد أن أجرى جراحة تجميل ليبدو شبيهًا له ... وبذلك فلن يشك أحد فيه ... وبعد أن حاول قتلنا بإلقائي في الماء، وشاهد أننا نجونا من أسماك القرش المتوحِّشة، أراد أن يخدعنا مرةً أخرى بالتظاهر بأنه يعرف شخصية «جاك» السفاح، وطلب منك أن تذهب إلى حجرته في منتصف الليل ليتخلَّص منك أنت أيضًا بدون أن يشعر به أحد ... وبعد ذلك يفعل نفس الشيء معي؛ ولهذا طلب منك أن تكون زيارتك له سرًّا.

قال «أحمد» في دهشة: ولكن!

قالت «إلهام» في إصرار: أؤكِّد لك أن هذه هي الحقيقة ... وإلا فكيف عرف هذا الرجل بأمر الكولونيل وحقيقة مهمته، إن لم يكن هو نفسه «جاك» السفاح؟

ضاقت عينا «أحمد» وقال: إنها نظرية معقولة.

إلهام: لقد أعدَّ هذا المجرم لنا كمينًا للتخلُّص منا واحدًا بعد الآخر ... فإن حيله لا تنتهي أبدًا.

أحمد: ولكن الوقت لن يتَّسع له لمزيد من الحيل ... فقد جاء الدور علينا لنقوم نحن بخدعة صغيرة ستكشف كل شيء ...

إلهام: ماذا تقصد يا «أحمد»؟

أحمد: سوف أذهب إلى قُمرة هذا الرجل فورًا، وسأفاجئه قبل أن يفاجئنا.

هتفت «إلهام» في قلق: ولكن ...

أحمد: لا تخشَي شيئًا ... فلا شك أنه لم يتوقَّع أن نكون قد كشفناه بمثل هذه السرعة.

إلهام: سأذهب معك.

أحمد: لا يا إلهام ... إنك متعبة بسبب ما حدث ...

إلهام: وأنت أيضًا ... لقد استنزفت كثيرًا من قوتك في مصارعة السمكة المتوحِّشة.

أحمد: لا تخشَي شيئًا علي.

واتجه «أحمد» خارجًا من القُمرة ... وسار مبتعدًا باتجاه مخزن ملابس العاملين في الباخرة، وتسلَّل بداخله وحصل على ملابس أحد عُمال النظافة فارتداها، ثم اتجه عائدًا إلى قُمرات الركاب، وقد بدأ الليل يسقط في الخارج على المحيط، وأُضيئت ممرات القُمرات بضوء شاحب.

اتجه «أحمد» إلى قُمرة المطرب الإنجليزي، وطرق بابها وهو يقول بصوت مختلف عن صوته: نظافة الغرف ... من فضلك نريد تغيير ملاءات السرير.

ولكن الباب لم ينفتح أو يصدر أي صوت من الداخل ... كرَّر «أحمد» الطَّرْق وبنفس العبارة بلا جدوى، ومسَّت أصابعه أُكرة الباب فانفتح الباب وحده ... وتحرَّك «أحمد» إلى داخل القُمرة في حذر، وقد استعدَّ لأية خدعة ... وما كاد يخطو داخلًا حتى أصابه المشهد الذي رآه بذهول شديد ... كان المُطرب الإنجليزي راقدًا فوق فراشه، وقد اخترقت جبهته أيضًا رصاصة قاتلة، فجحظت عيناه جحوظ الموتى.

وقف «أحمد» كالمشلول لحظة ... واندفعت آلاف الأفكار إلى رأسه ... وتأكَّد في تلك اللحظة فقط أن المطرب لم يكن هو «جاك» السفاح، بل إنه كان قد اكتشف حقيقة السفاح بالفعل، وإنه كان صادقًا في ذلك ... ولا بد أن «جاك» السفاح قد شاهد أو سمع المطرب الإنجليزي وهو يتحدَّث مع «أحمد» و«إلهام»، فقرَّر التخلُّص منه فورًا ... وبنفس الطريقة التي تخلَّص بها من الكولونيل الأمريكي ...

وأحسَّ «أحمد» بالخطر الشديد على «إلهام» وقد تركها وحدها تحت رحمة السفاح، واندفع «أحمد» وهو يعدو بقوة شديدة باتجاه قُمرة «إلهام».

وفجأةً برز شبح ملثَّم في ملابس سوداء، وقد تسلَّح بسيف رهيب ليقطع عليه الطريق ... تراجع «أحمد» خطوةً للخلف ... فلم يكن معه أي سلاح يدافع به عن نفسه ... وقهقه الشبح الملثَّم بصوت أجشَّ وهو يقول: لقد جاء الأوان عليك أنت أيضًا ... فما من أحد يعرف حقيقتي أو يسعى خلفي ويعيش طويلًا!

أدرك «أحمد» أنه أمام «جاك» السفاح وجهًا لوجه ... واندفع السفاح نحو «أحمد»، وهوى بسيفه على «أحمد»، وتحاشى «أحمد» الضربة القاتلة، فألقى بنفسه فوق أرضية الممر الضيقة، وفي نفس الحركة صوَّب بقدمه وهو على الأرض ضربةً إلى السفاح أصابته وجعلته يترنَّح إلى الخلف لشدة الضربة ... وانتهز «أحمد» الفرصة، ونهض بسرعة قافزًا نحو السفاح وهو يضربه ضربةً هائلة ألقت بالسفاح إلى الخلف.

قفز «أحمد» نحو السفاح، ولكن «جاك» استعاد توازنه أمام هجوم «أحمد» المباغت، وطوَّح بسيفه نحو «أحمد»، فتفادى «أحمد» الضربة في اللحظة الأخيرة، ولو كان قد تأخَّر في مُفاداتها مقدار شعرة واحدة لأصابته، ولكن نَصل السيف الحاد مرَّ من فوق كتفه فمزَّق قميصه، وأسال خيطًا من الدماء فوق كتفه ...

وأحسَّ «أحمد» بلهب حارق مكان الإصابة ... وانتهز السفاح الفرصة واندفع يعدو مبتعدًا عن المكان نحو القُمرات، فأسرع «أحمد» خلفه ... وانحرف في نفس الاتجاه الذي هرب فيه السفاح، ولكنه لم يعثر له على أي أثر ...

وكانت كل أبواب القُمرات مغلقةً يسودها السكون ... فوقف «أحمد» لحظةً وهو لا يدري في أي قُمرة قد اختفى بداخلها السفاح ...

وتحرَّك «أحمد» مبتعدًا ... فلم يكن هناك ما يستطيع أن يفعله؛ فلا بد أن السفاح قد تخلَّص من لِثامِه وملابسه السوداء وسيفه، وحتى لو قام «أحمد» بتفتيش الحجرات فلن يستطيع التعرُّف على السفاح في شخصيته الجديدة المجهولة ...

وتذكَّر «أحمد» «إلهام» والخطر المحدق بها ... فاندفع لاهثًا إلى قُمرتها.

وفتح «أحمد» باب القُمرة ... وباغتته المفاجأة والصدمة ... كانت حجرة «إلهام» خاليةً منها، وقد تناثرت أشياؤها في فوضى؛ ممَّا دلَّ على حدوث معركة فيها.

ولم يكن هناك شك في أن المعركة قد وقعت بين «جاك» السفاح و«إلهام» قبل أن يتمكَّن «جاك» من القبض على «إلهام» وأسرها حية! ...

السفاح!

تأكَّد «أحمد» أن «جاك» السفاح لم يقتل «إلهام»، وإنما قبض عليها حيةً ليتمكَّن بواسطتها من مغادرة الباخرة ... ولذلك احتفظ بـ «إلهام» أسيرةً ليغادر الباخرة في أمان بدون أن يتعرَّض له أحد ... وكان معنى ذلك أن «جاك» السفاح يستعد لمغادرة الباخرة والهرب في الحال ... وكان معناه أيضًا أن «جاك» يعتقد أن شخصيته الحقيقية قد اكتُشفت، وإلا ما أراد الهرب في الحال ...

إن «جاك» يظن أن «أحمد» قد اكتشف شخصيته المزيفة التي يتنكَّر بواسطتها ويُخفي حقيقته.

ولكن «أحمد» لم يكن يعرفها ... لم يكن يعرف هذه الشخصية التي قد تقمَّصها ذلك المجرم ... وفجأةً أشرق الحل في ذهن «أحمد» ... وهتف في ذهول: يا إلهي! ... كيف غابت عني الحقيقة؟!

لم يكن «جاك» السفاح سوى الممثل الأمريكي «فورد هاجمان»؛ فلا شك أن «جاك» السفاح قد استطاع قبل السفر القبض على الممثِّل الأمريكي الحقيقي وقام بقتله، ثم أجرى جراحة التجميل، وسافر على الباخرة باعتباره «فورد هاجمان»، وبالطبع؛ فما كان أحد يشك فيه أبدًا ... ولكن إن استطاع «جاك» السفاح أن يخدع كل من لا يعرفونه عن قرب، فلن يستطيع أن يخدع صديقًا حقيقيًّا لـ «فورد هاجمان».

ولهذا اكتشف المطرب الإنجليزي أن ذلك الشخص ليس هو «فورد هاجمان» حتى وإن كان يحمل نفس ملامحه ... وهذا ما كان يريد المطرب الإنجليزي أن يخبر به «أحمد»، لولا أنْ أسرع السفاح بقتله حتى لا يُفشي سره.

وعندما توصَّل ذهن «أحمد» إلى تلك الحقيقة، اندفع إلى قُمرة «جاك» السفاح فوجد بابها مغلقًا، وحطَّم «أحمد» الباب بكتفه فوجد الحجرة خاليةً ولا أحد بها.

أسرع «أحمد» بالصعود إلى سطح الباخرة ... وفي الظلام شاهد شبحًا يتحرَّك في ملابس سوداء ... وهو يدفع شخصًا أمامه في عنف.

ولم يكن هناك شك في أن ذلك الشبح هو «جاك» السفاح نفسه، وأن الشخص الذي يدفعه أمامه هو «إلهام» نفسها، وقد قام السفاح بتقييد يدَيها وفمها ... وظهر في يد السفاح قنبلة يدوية حارقة شديدة الانفجار ... فوقف «أحمد» مذهولًا في مكانه لا يدري ما يفعله.

وفجأة ... صرخت إحدى الراكبات من الخلف عندما شاهدت السفاح ممسكًا بالقنبلة، وعلى صُراخها تدفَّق بقية الركاب والعاملين فوق الباخرة وقبطانها ... ووقف الجميع بعيدًا عن السفاح ينظرون إليه في هلعٍ خوفًا من إلقائه القنبلة على الباخرة ونسفها. وأمر السفاح القبطان بإيقاف الباخرة ففعل.

وصاح «جاك» السفاح في القبطان: فلتسرع بإنزال أحد زوارق الإنقاذ البخارية إلى الماء وإلا نسفت هذه الباخرة!

تردَّد القبطان لحظة، فوضع «جاك» السفاح نصل سيفه أمام «إلهام» وقال: هل تريدون أن ... أعطيكم دليلًا على أنني جادٌّ فيما أقول؟

التفت «أحمد» إلى القبطان وقال له: عليكم بتنفيذ ما يقول هذا الرجل فهو يعني ما يقول.

أعطى القبطان إشارةً إلى رجاله ... وعلى الفور اندفعت مجموعة منهم نحو أحد الزوارق البخارية السريعة، فأنزلوه إلى الماء ...

وألقى العُمَّال بسُلم من الحبال يهبط من الباخرة إلى الزورق ... وتقدَّم «جاك» من السُّلم وهو ممسك بـ «إلهام»، وقال مُحذِّرًا: إذا حاول أحدكم ادعاء البطولة والتدخُّل فسوف تدفعون جميعًا الثمن.

وأشار إلى «إلهام» أن تهبط لأسفل ... فالتفتت «إلهام» إلى «أحمد» وتبادل الاثنان نظرةً طويلة عميقة، استطاع «أحمد» أن ينقل فيها رسالةً إلى «إلهام» ... ينقل فيها طلبه بأن تتماسك وتقوى ... وأنه لن يتركها أبدًا ...

ودفع السفاح «إلهام» بغِلظة قائلًا: هيا!

بدأت «إلهام» هبوطها لأسفل ... وهبط السفاح خلفها ... واستقرَّ الاثنان بداخل الزورق السريع ... وأدار السفاح مُحرِّك زورقه، واستعدَّ لأن ينطلق به في قلب المحيط المظلم، وعيون ركاب الباخرة تتابعه من أعلى حاجزها في رعب وهلع.

ومن أسفل راح السفاح يُقهقه بشدة في سخرية وهو يقول: إن أحدًا لا يمكنه القبض على «جاك» أبدًا ... سوف أذهب إلى أقرب جزيرة، ومن هناك سأذهب إلى أي مكان في العالم بوجه جديد وشخصية جديدة، وأتمتَّع بالملايين ... أمَّا أنتم أيها الأغبياء فلن تعيشوا طويلًا لترَوا ما شاهدتموه ...

وأمسك بالقنبلة اليدوية الحارقة وألقاها لأعلى نحو قلب الباخرة بعد أن انتزع فتيلها ... وكان هذا ما يتوقَّعه «أحمد» بالضبط ... ولو لم يفعل «جاك» ذلك ما استحقَّ أن يُطلَق عليه لقب السفاح.

وقبل أن تسقط القنبلة على الباخرة التقطها «أحمد»، وبسرعة خارقة كان يُلقيها إلى قلب زورق السفاح ...

وكانت الخطة التي تبادلها «أحمد» و«إلهام» بنظرات عينَيه تقول لها بأنه حيثما يلقي السفاح بقنبلته إلى الباخرة، فعليها أن تلقي بنفسها إلى قلب الماء وتغوص فيه ... وفوجئ السفاح بقفز «إلهام» في الماء وهي مُقيَّدة اليدَين ومكممة الفم ... وقبل أن يفيق «جاك» من دهشته شاهد قنبلته وهي تطير لأسفل عائدةً إليه.

وقبل أن يتمكَّن «جاك» من أن يفعل شيئًا، أو يهرب بزورقه، أو حتى يغادره، انفجرت القنبلة في قلب الزورق ... وتصاعد الانفجار بدوي هائل، وتناثر الزورق براكبه إلى أشلاء وشظايا غطَّت بقعةً كبيرة فوق سطح المحيط ...

وهتف «أحمد»: لقد نال هذا المجرم جزاءه من نفس جنس فعلته.

وقفز في الماء لإنقاذ «إلهام» ... فحملها فوق ذراعَيه، وأزاح الكِمامة من فوق فمها، وحلَّ قيودها. وتلاقت نظرات «أحمد» و«إلهام»، كان ... في عينَي «أحمد» فرحة بنجاة «إلهام» والتخلُّص من «جاك» السفاح ...

أمَّا «إلهام»، فكان في عينَيها نظرة شكر عميقة واعتراف بالجميل لـ «أحمد»، وترقرقت الدموع في عينَيها.

وعندما همَّت بالحديث قاطعها «أحمد» قائلًا في حنان: لا تقولي شيئًا.

وصَعِد الاثنان لأعلى وسط تصفيق ركاب الباخرة وعمالها ... وقد تشابكت أيديهما بقوة، ولمعت في عيونهما نظرة سعادة لا حدَّ لها ...

هنداوي